من شؤون المسلمين والعالم

كلمة في (مجلس التعاون) لدول الخليج

أعلن بعد قمّة الطائف عن (توثيق التعاون) بين ستة من دول الخليج ، وإعطائه حجماً جديداً باعتماده على اجتماعات دورية ومؤسسات ثابتة ، ورفع مستواه باللقاءات المقرّرة لوزراء الخارجية والملوك والأمراء ..

والمبادئ الأساسية المعلنة لهذا التعاون هذا أن يشمل سائر المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية .. ويبدو أنّــه سيشمل أيضاً الجانب العسكريّ والأمنيّ الداخليّ ، وإن لم يرد ذكر ذلك صراحة في البيانات الرسمية

ومن المبادئ المعلنة أيضاً (التمسّك برفض تواجد قوّة أجنبية في منطقة الخليج ولا سـيّما مــن جانــب الــدول الكبرى) ، ومن المفروض أن يعني هذا عدم منح قواعد عسكرية بصورة رسمية ظاهرة للعيان للدولتين الكبريين ، دون أن يتضح مصير القواعد الأمريكية الموجودة حالياً في البحرين وعمان بصورة خاصة ، ودون أن يشمل المبدأ بالتأكيد قطاع وجود الخبراء العسكريين والمدنيين من الدول الغربية في قطاعات عمل عسكرية وأمنية في جميــع دول الخلــيج المتعاونة ، بنسب تتراوح بين المئات والألوف

ومن المبادئ المقرّرة أيضاً ، أنّ التعاون بين الدول الخليجية الستة يتمّ في إطار ميثاق جامعة الدول العربية ، الــذي (يوصي الدول الأعضاء من منطقة واحدة أو ذات الأنظمة المتشابهة بتشكيل تجمّعات محلية لتكون أساساً لتعاون أشمل على المستوى العربي ، ولتسهّل توحيد البلدان العربية في المستقبل) .. وأنّ هذا التعاون غير موجّه ضدّ أية دولة عربية أخرى

والتعاون بين دول الخليج ليس جديداً ، والتعاون بين الدول العربية مطلوب من حيث الأصل .. والمطلوب معــه أن يكون تعاوناً يستهدف تحقيق المصلحة المشتركة للشعوب ، وإزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين البلدان ، والخروج بالمنطقة من فلك التبعيات الخارجية أيّاً كان لونها

وتوثيق التعاون بين دول الخليج أمر جدير بالتأييد والترحيب .. إذا توفّرت له هذه الأهداف . إنّ المنطقة العربيــة -وندع الحديث عن المنطقة الإسلاميّة في هذا الموضع- إذا نظرنا إليها بمجموعها ، وجدناها غنيّة بالثروات الطبيعيــة والبشرية ، قادرة على الاستفادة من المعطيات الجغرافية والسياسية المحلية والدولية لتحقيق المصلحة المشتركة ، وقادرة على تحقيق المصلحة المشتركة ، وقادرة على تحقيق درجة عالية من التقدّم والازدهار على المستوى المادّي ، وعلى أن

تحمل في هذا العصر رسالة يفتقر العالم إلى مبادئها وأخلاقياتها على المستوى العقيدي والسياسي والقــانوني الــدولي وعلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الحضاري ..

ولكنّ هذه المنطقة العربية نفسها ، إذا نظرنا إليها نظرة أعمق وأوعى وجدناها تواجــه مــشاكل أساســية ، في مقدّمتها :

- الانفصام بين الشعوب والحكام بعزل الشعوب عن توجيه مقاليد أمورها بنفسها
- التفاوت المريع بين الغنى والفقر بين دولة وأخرى وبين فئة وأخرى في الدولة الواحدة
- الانقسام المستمرّ بين التكتّلات العربية المتقلّبة ، والتي يقترن تقلّبها غالباً بتقلّب التبعيات الخارجية والارتباطات الاقتصادية والسياسية والعسكرية بالدولتين الكبريين والمعسكرين اللذين تتزعمانهما
- الضياع الفكري وبالتالي السياسي والاجتماعي لدرجة مذهلة ، نتيجة التبعية الفكرية للغــرب أو الــشرق ، والانسلاخ -المعتمّد غالباً- من الإسلام إلى درجة الحرب عليه وحصاره أو تزييفه واستغلاله

إنّ كلّ خطوة يتخذها حاكم أو مجموعة من الحكام في اتجاه حلّ هذه المشاكل كما ينبغي خطوة تستحق التأييد والترحيب .. فهل في خطوة توثيق التعاون بين دول الخليج الستة ما يشير إلى سعيها منفــردة أو مجتمعــة لإعطــاء الشعوب حقها في الحرية وتقرير المصير وفق تاريخها ومبادئها وبمعزل عمّا يفرضه الحكام عليهــا ؟ .. أو إلى ســعيها لإزالة التفاوت الطبقيّ الرهيب القائم والذي تتسلّل عبره الدعوات الغريبة ، أو يسبّب بنفسه أحياناً اضطرار الكثير من المهضومة حقوقهم إلى سلوك سبيل الحصول عليها رغم الحكام وقد سدّت في وجوههم السبل الأخــرى ؟ .. أو إلى سعيها للخروج بمجموع المنطقة من التبعيات الخارجية بسائر أشكالها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعيــة والفكرية .. ولا سيّما التبعية للغرب المستقرّة في منطقة الخليج بصورة خاصة ، فضلاً عن مناطق أخرى من البلــدان العربية ؟ .. أو إلى سعيها للعودة بالعرب المسلمين -على الأقل- إلى إسلامهم كما أنزله الله ، والــذي تتميّــز بــه شخصيتهم ويجدون به دورهم التاريخي في هذا العصر ، بعيداً عن عمليات استغلال الإسلام بارتداء لباسه على فكــر غربيّ أو وضع عمامته على جسد شيوعي ؟ ..

إنّنا لنتمنّى أن تكون هذه الخطوة لتوثيق التعاون في منطقة الخليج هادفة إلى تحقيق هذا التغيير الجذري المنــشود ، والذي تتطلّع إليه الشعوب ويظهر الدليل على إرادتها في تحقيقه كلّما تمكّنت من التحرّك للخــروج علــى الأغــلال المفروضة عليها والسدود المقامة فيما بينها .. نتمنّى ألاّ تكون هذه الخطوة في منطقة الخليج كسواها من الخطوات في المنطقة العربية ، هادفة إلى إيجاد تكتّل جديد ، يضمن السلامة للأنظمة في الداخل ولو لمرحلة من الــزمن ، ويثبّــت اتجاهها نحو الغرب في الخارج ، ويوطّد دعائم الأوضاع القائمة على ما هي عليه فحسب ..

نتمنّى .. ولكنّنا لا نرى حتى الآن دليلاً عملياً ظاهراً من وراء البيانات والكلمات ، يتحوّل به التمنّي إلى أمل.